﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إياسٌ من أجرِ عبادة الأصنام الباطلة وحرمانٌ من شفاعتها

لمّا أيأسَهم مِن أن يَنالوا خَيرًا مِن عِبادةِ أصنامِهم والتَّقَرُّبِ إليها، وأنَّها لا تكونُ وسيلةً لهم عندَ رَبِّهم؛ حَرَمَهم فائِدةَ عِبادتِها مِن وجهٍ آخَرَ[1].

مثالٌ لأمنيَّةٍ من أماني المشركين قد أبطلها اللهُ

ولَمّا بيَّنَ سبحانه أنَّ أُمورَ الدّارَينِ بيَدِه وحده، وأن ليس للإنسانِ ما تَمنَّى؛ ضرَبَ لذلك مِثالًا مِن الأمانيِّ الَّتي هي أعظَمُ أمانيِّ المُشرِكين، وهي قولُهم في الأصنام: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، وقولُهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 18]، فبيَّنَ إبطالَ قولِهم بطَريقِ فحوى الخِطابِ[2]، وهو أنَّ الملائكةَ الَّذين لهم شرَفُ المَنزلةِ، ومع قُربتِهم وزُلْفاهم وكَثرتِهم واختِصاصِ السَّماواتِ بجُموعِهم لو شَفَعوا بأجمُعِهم لأحَدٍ لم تُغْنِ شَفاعتُهم عنه شَيئًا قطُّ، ولم تَنفَعْ، إلّا إذا شَفَعوا مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللّهُ لهم في الشَّفاعةِ لِمَن يَشاءُ الشَّفاعةَ له، ويَرضاه، ويَراه أهلًا لأنْ يُشفَعَ له، فكيف تَشفَعُ الأصنامُ إليه لعَبَدتِهم، وهي حِجارةٌ في الأرضِ، وليستْ مَلائكةً في السَّماواتِ؟[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَّلَكٍ﴾: جعلَ النَّحويّون المَلَكَ من لفظِ الملائكة، وقال بعضُ المحقِّقين: هو من المِلك، قال: والمتولّي من الملائكة شيئًا من السّياسات يُقال له: مَلَك بالفتح[4]، وقالوا: إنَّ المَلَكَ كجبلٍ مِن هذا،

(1) المراغي، تفسير المراغي: 27/ 53.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 112.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 424.
(4) الراغب، المفردات: (ملك).

وأصلُه مألك، ثمَّ بالنَّقل ملأك، ثمَّ خُفِّفَ، فصار ملكًا؛ لأنَّ المَلَكَ رسولٌ يحملُ رسالةً منَ اللّه ﷻ إلى مَن أرادَ مِن عبادِه[1]، والمَلَكُ واحدُ الملائكة، والملائِكَةُ: عالَمٌ غَيبيٌّ، خلقَهُمُ اللّهُ سبحانه مِن نور، وجعلَهم طائعين لَهُ، لا يعصون أمرَه[2].

2) ﴿تُغْنِي﴾: أصلُ (غني) يدلُّ على الكِفايَةِ، ومنه الغِنَى في المالِ[3]، والغِنَى: ضِدُّ الفَقْرِ، وهو على ضَربَين: أحَدُهما: ارتِفاعُ الحاجاتِ، وليسَ ذلك إلّا للّهِ تعالى، والثّاني: قلَّةُ الحاجاتِ، وهو المُشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: 8][4]، ومعنى ﴿لَا تُغْنِي﴾ في الآية: لا تنفعُ شفاعته[5].

3) ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾: أصلُ الشَّفاعة يدلُّ على مقارنةِ الشَّيئين، من ذلك الشَّفْعُ خلاف الوتر، تقولُ: كان فردًا، فشَفَعْتُهُ، وشَفَعَ فلانٌ لفلانٍ؛ إذا جاء ملتمسًا مطلبه ومعينًا له[6]، والشَّفاعَةُ: الانضمامُ إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثرُ ما يُستَعملُ في انضمام من هو أعلى حُرمةً ومرتبةً إلى مَن هو أدنى، ومنه شفاعةُ يوم القيامة[7]، وهو المراد بالشَّفاعة في الآية، أي: سعيهم ووساطتهم في حصولِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إقناطُ المشركين من شفاعةِ الأصنامِ بطريقِ الأولويّةِ

زادَ تعالى في بطلانِ شفاعةِ الأصنام لهم يوم القيامة، فقال: وكَثيرٌ مِنَ الملائِكةِ في السَّماواتِ معَ سُموِّ مَنزلتِهم ورِفعةِ مَقامِهم لا يشفعون إلّا مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللّهُ في الشَّفاعةِ لِمَن يَشاءُ منهم،

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ألك - لأك).
(2) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطيَّة: 1/ 59.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (غني).
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 427.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفع).
(7) الراغب، المفردات: (شفع).

ويَرضَى عن المَشفوعِ لهم، واللّهُ لا يأذنُ إلّا للمقرَّبين من خلقه، فكيف تشفعُ الأصنام؟[1] أي: فأعلَمَهُم أنَّ شفاعةَ ما يعبدون من دونه غيرُ نافعتهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾:

الانتقالُ إلى بيانٍ جديدٍ يدحضُ زعمَ المشركين في شفاعة آلهتهم

الواو في قوله تعالى: ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ إمّا استئنافيَّةٌ، والآيةُ جاءتِ استئنافًا؛ لكشفِ بطلان ظنِّ المشركين الفاسد بأنَّ آلهتهم ستشفعُ لهم، كما ذكر سبحانه في قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.

إظهارُ عظمةِ مُلكِ الله وقدرته

وإمّا عاطفة[3]، والمعطوفُ عليه مقدَّر، وهو: فكم مِن شَخصٍ تَرَونَه في الأرضِ - معَ أنَّه في غايةِ المُكْنةِ فيما يَظهَرُ لكم - لا يَصِلُ إلى ما يتمَنّاه، ففي العَطْف إظهارُ ضَخامةِ مُلكه، وأنَّه لا يُبالي بأحَدٍ مهما كان كثيرًا، فقال: ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾[4].

دلالةُ التَّعبير بـ(كم) الخبريَّة:

التَّكثيرُ تفنيديٌّ لنفي شفاعةِ الملائكة وإبطالِ شفاعةِ الأصنام

(كم) في قوله تعالى: ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ خبريَّةٌ مفيدةٌ لتكثيرِ العدد، محلُّها الرَّفعُ على الابتداءِ، والخبرُ هو الجملةُ المنفيَّةُ[5]، وتثيرُ الانتباهَ والتَّشويقَ بما فيها من الإبهامِ الَّذي يستدعي التَّشويق، وتفيدُ إقناطَ المشركين من شفاعةِ الأصنامِ بطريقِ الأولويَّة، فها هي الملائكةُ على الرَّغم من كثرتها في كلِّ السَّماوات - والَّتي هي أعلى منهم - لا يملكون الشَّفاعةَ استقلالًا.

نكتة تنكير ﴿مَّلَكٍ﴾:

نفيُ شفاعة الكثرة المقرَّبين يوجب نفي شفاعة القلَّة المُستبعدين

تنكيرُ لفظ ﴿مَّلَكٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿*وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي

(1) الحجازي، التفسير الواضح: 3/ 560.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 529.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 357.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 113.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جاء في سياق (كم) الخبريَّة الَّتي تفيدُ التَّكثير؛ ليعزِّز معنى الكثرة، دون أنْ يُقيِّد، أو يُحدِّد، أي: عددٌ عظيمٌ غير محصورٍ من الملائكة في السَّماوات لا تغني شفاعتهم، فكيف تغني شفاعة أصنامكم[1] ؟ وفي ذلك مبالغةٌ في إبطالِ شفاعةِ أصنامهم.

معنى حرف الجر ﴿فِي﴾:

الظَّرفيَّةُ مؤذنةٌ بشدَّةِ قربِ الملائكة ومقامهم العالي

جاء حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بمعنى الظَّرفيَّة الحقيقيَّة المكانيَّة، أي: إنَّ هؤلاء الملائكة موجودون داخل السَّماوات، مستقرّون فيها لا في الأرض؛ لتشيرَ الظَّرفيَّة إلى زيادةِ قربِ الملائكة ومقامهم العالي، وشرفهم بشرفِ مسكنهم والعالم الَّذي هم أهله، وهو عالمُ الفضائل ومنازل الأسرار، أي: وهم في الكرامةِ والزُّلفى لا يملكون الشَّفاعة إلّا بإذن اللّه، فكيف بغيرهم من المخلوقات[2] ؟.

دلالة تعريف ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وجمعها:

نفيُ شفاعةِ الأعلى تفنيدٌ لنفي شفاعةِ الأدنى

(الـ) التَّعريف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، أي: إنَّ الحديث عن السَّماوات السَّبع المعروفة، الَّتي تشملُ طبقاتِ العالم العلويِّ، والجمعُ يدلُّ على إرادةِ السَّماوات كلِّها، لا يستثني منها طبقة أو مقامًا، والإحاطةِ بجميع العوالم العلويَّة بما فيها من عوالم الغيب والملائكة، بما يُبرزُ عظمةَ الخلق، وكثرةَ الملائكة وتنوُّع مراتبهم، ممّا يعظِّم من وقع نفي شفاعتهم دون إذنِ اللّه، والمعنى: حتّى لو اجتمعتْ كلُّ الملائكة في جميعِ السَّماوات المعروفة والمشهودة والغيبيَّة، فإنَّ شفاعتهم لا تُغني شيئًا إلّا بإذن اللّه، فكيف بغيرهم من المخلوقات؟.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 255.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 113.

دلالةُ نفي الإغناء عن الشَّفاعة دون نفي الشَّفاعة ذاتها:

تفنيدُ زعمِ المشركين بجدوى شفاعةِ الأصنام

نفى البيانُ القرآنيُّ الإغناءَ عن الشَّفاعة بقوله: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ دون نفيِ وقوع الشَّفاعة، فلم يقل: (لا يَشفَعون)، مع أنَّ دَعْواهم: أنَّ هؤلاء شُفعاؤُنا، لا أنَّ شَفاعتَهم تَنفَعُ، أو تُغْني، وقد قال تَعالى في مواضِعَ أُخَرَ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: 255]، فنَفَى الشَّفاعةَ بدونِ الإذْنِ، ووجْهُ ذلك: أنَّهم كانوا يَقولون: هؤلاء شُفعاؤُنا، وكانوا يَعتقِدون نفْعَ شَفاعتِهم، كما قال تَعالى: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، وكانوا يقولون: الأصنامُ تَشفَعُ لنا شَفاعةً مُقرِّبةً مُغْنيةً، فقال: لا تُغْني شَفاعتُهم؛ بدليلِ أنَّ شَفاعةَ الملائكةِ لا تُغْني، ولأنَّه لو عبَّر بقوله: لا يَشفَعون، ثم استَثْنى بقولِه: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾؛ لكان التَّقدير، أي: فيَشفَع، ولكن لا يكونُ فيه بَيانُ أنَّها تُقبَلُ، وتُغْني، أو لا تُقبَلُ، فإذا قال: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾، ثمَّ قال: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾، فيَكونُ معناهُ: تُغْني[1].

دلالةُ تعريف الشَّفاعة بالإضافة، وعود الضَّمير فيه:

المبالغةُ في إقناطِ المشركين من شفاعةِ الأصنامِ بطريقِ الأولويَّةِ

في قوله تعالى: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ عرَّفَ الشَّفاعة بالإضافة إلى ضميرِ الجمع للملائكة برغم أنَّ المَلَك مفردٌ باعتبارِ المَعْنى[2]، وإضافةُ الشَّفاعة إلى ضميرهم، يفيدُ العموم، أي: جميع الملائكة على كثرتهم وعلوِّ مقدارهم لا تغني شفاعةُ واحدٍ منهم[3]، وهو أدلُّ على عظمةِ الأمر، وأدلُّ على تفنيدِ شفاعة الأصنام؛ إذ نفى شفاعةَ جميع الملائكة حالَ اجتماعهم إلّا بإذنه[4]، وكُلُّ ذلك لبيانِ فسادِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 256.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 358.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 113.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62.

قَولِهم: إنَّ الأصنامَ يَشفَعونَ[1]، كأنَّه يقولُ: الملائكةُ الكرامُ لا تُغْني شفاعتُهم شيئًا إلّا بإذْنِ اللّه، فكيفَ أوثانُكم؟[2].

وجهُ التَّعبير بالنَّكرة ﴿شَيْـًٔا﴾ وحذف متعلّقها:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بـ﴿شَيْـًٔا﴾ الَّتي عدَّها النُّحاةُ أنكرَ النَّكرات، وأعمَّ الألفاظ وأبهمها في سياق نفي الشَّفاعة لأحدٍ مِن الملائكة في قوله تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾؛ ليبالغَ في قصر الأمرِ وردِّه بحذافيره إليه ﷻ[3]، وللدَّلالة على العموم.

المبالغةُ في العموم مبالغةٌ في قصرِ أمر الشَّفاعة وردِّها بحذافيرها إليه سبحانه

أو أنَّ ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعولٌ مطلقٌ، لم تُذكَر مُتعلِّقاتُه للتَّعميم، أي: شيئًا مِن الإغناءِ؛ لزيادةِ التَّنصيصِ على عُمومِ نفْيِ إغناءِ شَفاعتِهم[4].

بلاغةُ الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

عُقِّبَ بالاستِثناءِ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾؛ لإزالةِ ما قد يُتوهَّمُ من ظاهرِ قوله تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ﴾، بأنَّ الملائكةَ قد يَشفَعون، فلا تُقبَلُ شَفاعتُهم، وليس ذلك مُرادًا؛ لأنَّ المُرادَ أنَّهم لا يجرَؤون على الشَّفاعةِ عندَ اللّهِ إلّا مِن بَعدِ أن يَأذَنَ اللّهُ لأحدِهم في الشَّفاعةِ، ويَرضَى بقَبولِها في المَشفوعِ له، فالمُرادُ بـ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مَن يَشاؤُه اللّهُ منهم، أي: فإذا أذِنَ لأحدِهم؛ قُبِلَت شَفاعتُه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28][5]، فالاستثناءُ يفيدُ قصرَ الأمر وردَّه بحذافيرِه إلى اللّه تعالى[6].

الشَّفاعة مقصورةٌ على الله سبحانه، ومردودةٌ إلى إذنه تعالى ورضاه

معنى حرف الجر ﴿مِنۢ﴾:

﴿مِنۢ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لابتداء الغاية

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 255.
(2) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 319.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 113.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 113 - 114.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62.

الزَّمنيَّة، أي: إنَّ الشَّفاعةَ لا تبدأُ، ولا تصدرُ من أحدٍ من الملائكة إلّا بعد حصولِ الإذنِ من الله تعالى.

فائدة القيد ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾:

لا شفاعةَ قبلَ الإذنِ الإلهيِّ

أفادَ القيدُ ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ أنَّ الشَّفاعةَ مقيَّدةٌ لا مطلقة، أي: إلّا من بعد أنْ يُمكِّنَ، ويريدَ اللهُ الَّذي لا أمرَ لأحدٍ أصلًا معه[1]، أي: إنَّ الشَّفاعةَ لا تقعُ بأيِّ وجهٍ قبلَ إذنِ الله، ويفيدُ القيدُ أيضًا أنَّ الشَّفاعةَ يبدأُ وقتها ومشروعيَّتها، وجدواها من لحظةِ الإذنِ الإلهيِّ تحديدًا، وليس قبله ولا استقلالًا عنه.

وجه التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يَأۡذَنَ﴾:

ارتباطُ الشَّفاعةِ بتجدُّدِ الإذنِ زمانًا ووجودًا

عبَّر البيانُ الحكيم بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن﴾ والفعل ﴿يَأۡذَنَ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾، ولم يقل: من بعد إذنِ الله؛ للدَّلالة على أنَّه لا عمومَ بعد الإذنِ بجميع الأوقات، وإنَّما ذلك يُجدِّدُ بعد تجدُّدِ الإذنِ على حينه[2]، وفي التَّعبير بالمصدر المؤوَّل دلالة على مجرَّد معنى حدوث الإذن دون احتمال زائد عليه من وصف، أو كيفيَّة، أو غير ذلك؛ إذ في ﴿أَن﴾ تخليصٌ للمعنى من الإجمال.

سرُّ إيثار فعل (الإذن) مضارعًا دون غيره:

دقَّةُ المعنى وتجدُّدُ الشَّفاعةِ بإذنٍ خاصٍّ

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿يَأۡذَنَ﴾ دون غيره من المفردات، مثل: يأمر؛ لأنَّ الإذن يدلُّ على رفعِ المانع والسَّماحِ بفعلِ الشَّفاعة مع عدمِ لزومه، وهذا يتناسبُ مع المقام، فاللهُ لا يأمرُ بالشَّفاعة، بل يأذن بها.

وإيثارُ التَّعبير بصيغة المضارع دون (أذِنَ)؛ للدَّلالة على أنَّ الإذنَ يتجدَّدُ في كلِّ حالة شفاعة، لا في كلِّ الأوقات، والمعنى: لا شفاعةً تُقبلُ في أيِّ وقتٍ أو حالٍ إلّا بعد إذنٍ خاصٍّ متجدِّدٍ منه سبحانه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 62.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.

معنى اللام في ﴿لِمَن﴾:

توجيهُ الشَّفاعة وتعلُّقها بالمشفوع له بإذنٍ خاصٍّ

(اللّامُ) في قولِه: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ هي اللّامُ الَّتي تَدخُلُ بعدَ مادَّةِ الشَّفاعةِ على المشفوعِ له، فهي مُتعلِّقةٌ بشفاعتِهم، وليستِ اللّامُ مُتعلِّقةً بـ﴿يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾، ومَفعولُ ﴿يَأۡذَنَ﴾ مَحذوفٌ دلَّ عليه قولُه: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾، وتَقديرُه: أن يَأْذنَهُم اللّهُ، ويَجوزُ أن تكونَ اللّامُ لتَعديةِ ﴿يَأۡذَنَ﴾ إذا أُريدَ بها معْنى يَستمِعُ، ومعْنى ذلك أنَّ الملائكةَ لا يَزالون يَتقرَّبون بطلَبِ إلْحاقِ المؤمنينَ بالمَراتبِ العُلْيا، كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ [غافر: 7]، فإنَّ الاستغفارَ دُعاءٌ، والشَّفاعةَ تَوجُّهٌ أعْلى، فالملائكةُ يَعلَمون إذا أرادَ اللّهُ استجابةَ دَعوتِهم في بَعضِ المؤمنينَ، أذِنَ لأحدِهم أنْ يَشفَعَ له عندَ اللّهِ، فيَشفَعَ، فتُقبَلَ شَفاعتُه[1]، ويجوز أن تكون اللّام للتَّعليل[2].

وجه التَّعبير بالموصول (مَن):

في العمومِ والإبهام تعظيمٌ للموقف وتحريضٌ للمؤمنين في التَّعرُّض لرضا الله

(مَن) في قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ اسمُ موصول عامٌّ يشيرُ إلى شخصٍ غيرِ مذكور باسمه، أي: فيه إبهامٌ يزيدُ من رهبةِ الموقف، ويُظهر أنَّ الأمرَ ليس بيد الشّافعِ ولا المشفوعِ له، بل مردُّه كليًّا لمشيئةِ اللّه وحده، وفيه تعظيمٌ للموقف "وتَحريضٌ للمؤمنينَ أن يَجتهِدوا في التَّعرُّضِ لرِضا اللّهِ عنهم؛ ليَكونوا أهلًا للعفْوِ عمّا فرَّطوا فيه من الأعمال"[3]، وللدَّلالة على العموم؛ إذ لو قال: إلّا من بعد أن يأذنَ اللّه لهم؛ لاقتصرَ الإذن على الملائكة، ولكنَّ التَّعبيرَ بـ(مَن) أفادَ عمومَ مَن يؤذنُ له في الشَّفاعة من الملائكة والمؤمنين من الإنسن والجنِّ، والتَّعبير بـ(مَن) دون (ما)؛ لأنَّ (مَن) تُستخدم غالبًا للعقلاء، فالمأذون لهم بالشَّفاعة هنا هم من العقلاء من الملائكة والنَّبيّين.

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 114.
(2) قباوة، المفصّل، ص: 1865.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 114.

سرُّ إيثار الفعل ﴿يَشَآءُ﴾ مضارعًا دون غيره:

مشيئةُ اللهِ في الإذنِ بالشَّفاعة تقتضي وجـود الشَّفاعة

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿يَشَآءُ﴾ دون غيره مثل (يريد)؛ لأنَّ المشيئةَ مِن اللهِ تقتضي وجودَ الشَّيء، وأمّا الإرادة منه؛ فلا تقتضي وجود المُراد[1]، وفي الحديث: «ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»[2]، وبهذا يتأكَّد وجود الإذن بالشَّفاعة يوم القيامة.

تـجـدُّدُ لمشيئة الـلـه وتـصـويـرٌ لمشهدِ الشَّفاعة الحيِّ

وأوثِرَتْ صيغةُ المضارع؛ للدَّلالة على الاستمرار والتَّجدُّد، أي: "لمن يشاء بتجدُّد تعلُّق مشيئته به، لأن يكون مشفوعًا أو شافعًا"[3]، بخلاف الماضي الَّذي يدلُّ على الحدث المنقضي؛ فالإذنُ بالشَّفاعة ليس أمرًا سابقًا، وانتهى، بل هو متجدِّدٌ بحسب كلِّ حال، ولإفادة تصوير المشهد المهيب في سياقه الحيِّ؛ كأنَّ المشهدَ يجري الآن، والملائكةُ في انتظارِ الإذن، والله يشاءُ، ويأذنُ في كلِّ لحظةٍ بما يناسبُ حكمته وعدله، ولتحقيقِ الانسجام في الزَّمن في الآية الكريمة، فقد جاء الفعل ﴿يَأْذَنَ﴾ بصيغةِ المضارع، ولو جاء أحدُ الفعلين بصيغة الماضي؛ لَما تحقَّق هذا الانسجام.

توجيه العطف بالواو:

لا يحظى بإذن الشَّفاعة إلّا من استـحـقَّ رضـا الله

عُطِفَ قولُه: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ على ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ إذْنَ اللهِ بالشَّفاعةِ يَجْري على حسَبِ إرادتِه إذا كان المَشفوعُ له أهْلًا لأنْ يُشفَعَ له[4]، ذلك لأنَّ المَلِك من ملوك الأرض قد يأذنُ في الشَّفاعة، وهو كارهٌ، ولذا أخبرَ ﷻ معلِّمًا أنَّه ليس كأولئك، وإنَّما تجري شفاعته وفقًا لرضاه[5]، فالرِّضا بعد المشيئة شرطُ القَبول في إذنِ الشَّفاعة.

---

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شيأ).
(2) سنن أبي داود، باب: ما يقول، إذا أصبح، برقم: (5075).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 114.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.

وجهُ التَّعبير بالفعل ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ مضارعًا:

استمرارُ الرِّضا وتجدُّدُ وقوعه بحسبِ حالِ المشفوع له

التَّعبيرُ بصيغة المضارعة؛ للدَّلالة على تجدُّد رضاه سبحانه مع تجدُّدِ مشيئته في الإذن بالشَّفاعة، ولإفادةِ تصويرِ مشهدِ رضاه سبحانه، بما يكون قطعًا لأطماعهم وعن قولهم بمجرَّد الهوى بأنَّ آلهتهم تشفعُ لهم[1]، ولتحقيقِ التَّناسب مع صيغ المضارعة في الفعلين ﴿يَأۡذَنَ﴾ و﴿يَشَآءُ﴾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"